كتاب

الدعوة إلى الله عز وجل

فصل
فى ترتيب الدعوة ولها مراتب

المرتبة الأولى: النبوة.

الثانية : إنذار عشيرته [١] الأقربين.

الثالثة: إنذار قومه.

الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله، وهم العرب قاطبة.

الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.

فصل

وأقام ﷺ ثلاث سنين يدعو إلى الله ـ سبحانه ـ مستخفياً ،ثم نزل عليه: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر: ٩٤]. فأعلن ﷺ بالدعوة، وجاهر قومه بالعداوة ، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين ، حتى أذن الله لهم بالهجرتين [٢].

فصل
فى الصبر على الدعوة إلى الله عز وجل

ومنها [٣] : التأنى والصبر فى الدعوة إلى الله ، وألايعجل بالعقوبة والدعاء على العصاة [٤].

---

(١) أى : النبى ﷺ.

(٢) زاد المعاد (١/ ٨٦).

(٣) أى :من الحكم المستفادة من قدوم وفد دوس على رسول الله ﷺ.

(٤) زاد المعاد (٣/ ٦٢٧).

فصل
فى دعوة أهل الكتاب

ومنها [١] جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة ، فليول ذلك إلى أهله ، وليخل بين المطى وحاديها، والقوس وباريها ، ولولا خشية الإطالة لذكرنا من الحجج التى تلزم أهل الكتابين الإقرار بأنه رسول الله بما فى كتبهم، وبما يعتقدونه بما لا يمكنهم دفعه ما يزيد على مائة طريق، ونرجو من الله سبحانه إفرادها بمصنف مستقل.

ودار بينى وبين بعض علمائهم مناظرة فى ذلك، فقلت له فى أثناء الكلام: ولا يتم لكم القدح فى نبوة نبينا ﷺ إلا بالطعن فى الرب تعالى والقدح فيه، ونسبته إلى أعظم الظلم والسفه والفساد، تعالى الله عن ذلك، فقال: كيف يلزمنا ذلك ؟قلت: بل أبلغ من ذلك ، لا يتم لكم ذلك إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالى.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمد عندكم ليس بنبى صادق ، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفترى على الله ، ويتقول عليه ما لم يقله، ثم يتم له ذلك، ويستمر حتى يحلل ويحرم ، ويفرض الفرائض ، ويشرع الشرائع ، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل ، وهم أهل الحق ، ويسبى نساءهم وأولادهم ، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض ، وينسب ذلك كله إلى أمر الله تعالى له به ومحبته له ، والرب تعالى يشاهده ، وما يفعل بأهل الحق وأتباع الرسل، وهو مستمر فى الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره ، ويعلى أمره ، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر ، وأعجب من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه من غير فعل منه نفسه ولا سبب، بل تارة بدعائه ، وتارة يستأصلهم ـ سبحانه ـ من غير دعاء منه ﷺ، ومع ذلك يقضى له كل حاجة سأله إياها، ويعده كل وعد جميل ، ثم ينجز له وعده على أتم الوجوه، وأهنئها، وأكملها، هذا وهو عندكم فى غاية الكذب والافتراء والظلم ، فإنه لا أكذب ممن كذب على الله، واستمر على ذلك ، ولا أظلم ممن أبطل شرائع أنبيائه ورسله، وسعى فى رفعها من الأرض، وتبديلها بما يريد هو ، وقتل أولياءه وحزبه وأتباع

---

(١) أى : من الحكم المستفادة من قدوم وفد نجران على رسول الله ﷺ.

رسله، واستمرت نصرته عليهم دائماً ، والله تعالى فى ذلك كله يقره ، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين ، وهو يخبر عن ربه أنه أوحى إليه أنه لا ﴿ **أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ [الانعام: ٩٣] فيلزمكم معاشر من كذبه أحد أمرين لا بد لكم منهما:

إما أن تقولوا: لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان للعالم صانع مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه ، ولقابله أعظم مقابلة. وجعله نكالاً للظالمين إذا لا يليق بالملوك غير هذا، فكيف بملك السموات والأرض، وأحكم الحاكمين؟.

الثانى: نسبة الرب مالا يليق به من الجور. والسفه، والظلم، وإضلال الخلق دائمًا أبد الآباد ، لا بل نصرة الكاذب ، والتمكين له من الأرض، وإجابة دعواته ، وقيام أمره من بعده، وإعلاء كلماته دائماً ، وإظهار دعوته ، والشهادة له بالنبوة قرناً بعد قرن على رؤوس الأشهاد فى كل مجمع وناد ، فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين، فلقد قدحتم فى رب العالمين أعظم قدح، وطعنتم فيه أشد طعن، وأنكرتموه بالكلية ، ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام فى الوجود ، وظهرت له شوكة ، ولكن لم يتم له أمره، ولم تطل مدته ، بل سلط عليه رسله وأتباعهم ، فمحقوا أثره ، وقطعوا دابره ، واستأصلوا شأفته . هذه سنته فى عباده منذ قامت الدنيا، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها.

فلما سمع منى هذا الكلام ، قال : معاذ الله أن نقول: إنه ظالم أو كاذب ، بل كل منصف من أهل الكتاب يقر بأن من سلك طريقه ، واقتفى أثره ، فهو من أهل النجاة والسعادة فى الأخرى. قلت له : فكيف يكون سالك طريق الكذاب، ومقتفى أثره بزعمكم من أهل النجاة والسعادة ؟فلم يجد بدًا من الاعتراف برسالته، ولكن لم يرسل إليهم. قلت: فقد لزمك تصديقه، ولا بد وهو قد تواترت عنه الأخبار بأنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين ؛ كتابيهم وأميهم، ودعا أهل الكتاب إلى دينه ، وقاتل من لم يدخل فى دينه منهم حتى أقروا بالصغار والجزية ، فبهت الكافر ، ونهض من فوره.

والمقصود: أن رسول الله ﷺ لم يزل فى جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفى، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله ـ سبحانه ـ بجدالهم بالتى هى أحسن فى السورة المكية والمدنية ، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبيناته، وهو سيف رسوله وأمته (١).

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٣٩ ـ ٦٤٢).

فصل
فى السنة فى دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم

ومنها [١]: أن السنة فى مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله ـ سبحانه ـ بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبدالله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعى سفيان الثورى فى مسألة رفع اليدين، ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة[٢].

فصل
فى ابتلاء الدعاة وحكمته

أكمل الخلق عند الله، من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون فى منازلهم عند الله، تفاوتهم فى مراتب الجهاد؛ ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كمل مراتب الجهاد، وجاهد فى الله حق جهاده، وشرع فى الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل، فإنه لما نزل عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ ﴾ [المدثر] شمر عن ساق الدعوة، وقام فى ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، ولما نزل عليه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود والجن والإنس.

ولما صدع بأمر الله. وصرح لقومه بالدعوة، وناداهم بسب آلهتهم، وعيب دينهم، اشتد أذاهم له، ولمن استجاب له من أصحابه، ونالوه ونالوهم بأنواع الأذى، وهذه سنة الله عز وجل فى خلقه، كما قال تعالى: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[الأنعام: ١١٢]، وقال ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ⑫ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ⑬ ﴾ [الذاريات]

---

(١) أى: من الحكم المستفادة من قدوم وفد نجران على رسول الله ﷺ.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٤٣).

فعزى ـ سبحانه ـ نبيه بذلك ،وأن له أسوة بمن تقدمه من المرسلين،وعزى أتباعه بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت].

فليتأمل العبد سياق هذه الآيات،وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم ،فإن الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين:إما أن يقول أحدهم:آمنا ،وإما ألا يقول ذلك ، بل يستمر على السيئات والكفر ،فمن قال:آمنا ،امتحنه ربه وابتلاه ، وفتنه ، والفتنة :الابتلاء والاختبار، ليتبين الصادق من الكاذب،ومن لم يقل:آمنا ،فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه ، فإنه إنما يطوى المراحل فى يديه.

وكيف يفر المرء عنه بذنبه إذا كان تطوى فى يديه المراحل

فمن آمن بالرسل وأطاعهم ،عاداه أعداؤهم وآذوه ،فابتلى بما يؤلمه وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم ،عوقب فى الدنيا والآخرة ،فحصل له ما يؤلمه ، وكان هذا المؤلم له أعظم ألما وأدوم من ألم اتباعهم ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان ، لكن المؤمن يحصل له الألم فى الدنيا ابتداء ، ثم تكون له العاقبة فى الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ،ثم يصير إلى الألم الدائم.وسئل الشافعى ـ رحمه الله:أيما أفضل للرجل،أن يمكن أو يبتلى ؟فقال:لا يمكن حتى يبتلى.والله تعالى ابتلى أولى العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم ،فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم

البتة ،وإنما يتفاوت أهل الآلام فى العقول ، فأعقلهم من باع ألما مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر.

فإن قيل :كيف يختار العاقل هذا ؟ قيل : الحامل له على هذا :النقد والنسيئة.

والنفس موكلة بحب العاجل :

﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]، ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا﴾ [الدهر:٢٧]. وهذا يحصل لكل أحد، فإن الإنسان مدنى بالطبع، لابد له أن يعيش مع الناس ،والناس لهم إرادات وتصورات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ،فإن لم يوافقهم ، آذوه وعذبوه ،وإن وافقهم ،حصل له الأذى والعذاب ،تارة منهم ، وتارة من غيرهم ،كمن عنده دين وتقى حل بين قوم فجار ظلمة ،ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم ، أو سكوته عنهم ، فإن وافقهم ،أو سكت عنهم ، سلم من شرهم فى الابتداء ، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء ، لو أنكر عليهم وخالفهم ،وإن سلم منهم ، فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم ، فالحزم كل الحزم فى الأخذ بما قالت عائشة أم المؤمنين لمعاوية :« من أرضى الله بسخط الناس ، كفاه الله مؤنة الناس ،ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً »(١).

ومن تأمل أحوال العالم ،رأى هذا كثيراً فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة ، وفيمن يعين أهل البدع على بدعهم هربًا من عقوبتهم فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم ،وصبر على عدوانهم، ثم تكون له العاقبة فى الدنيا والآخرة. كما كانت للرسل وأتباعهم، كالمهاجرين،والأنصار ،ومن ابتلى من العلماء، والعباد ، وصالحى الولاة ، والتجار ، وغيرهم.

ولما كان الألم لا محيص منه البتة ، عزى الله ـ سبحانه ـ من اختار الألم اليسير المنقطع على الألم العظيم المستمر بقوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾ [العنكبوت]، فضرب لمدة هذا الألم أجلاً. لا بد أن يأتى ،وهو يوم لقائه، فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الألم من أجله ،وفى مرضاته ،وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الألم فى الله ولله ،وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه ،

---

(١) الترمذى (٢٤١٤) فى الزهد ، باب : ماجاء فى حفظ اللسان ، بلفظ : « من التمس رضاء الله بسخط الناس . . . إلخ »، وابن حبان (١٥٤١ ، ١٥٤٢/ موارد من طريق آخر) .

ليحمل العبد اشتياقه إلى لقاء ربه وواليه على تحمل مشقة الألم العاجل ، بل ربما غيبه الشوق إلى لقائه عن شهود الألم والإحساس به ،ولهذا سأل النبى ﷺ ربه الشوق إلى لقائه ، فقال فى الدعاء الذى رواه أحمد وابن حبان: « اللهم إنى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق،أحينى إذا كانت الحياة خيراً لى ،وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى،وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ،وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا ، وأسألك القصد فى الفقر والغنى ،وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء،وأسألك برد العيش بعد الموت،وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ،ولا فتنة مضلة ، اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين » (١).

فالشوق يحمل المشتاق على الجد فى السير إلى محبوبه ، ويقرب عليه الطريق ، ويطوى له البعيد ، ويهون عليه الآلام والمشاق ، وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده ، ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال ،هما السبب الذى تنال به ،والله ـ سبحانه ـ سميع لتلك الأقوال، عليم بتلك الأفعال ،وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة ، ويشكرها، ويعرف قدرها ، ويحب المنعم عليه ، فتصلح عنده هذه النعمة ، ويصلح بها كما قال تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾** ﴾ [الانعام] ،فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه ، فليقرأ على نفسه : ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ**﴾ .

ثم عزاهم تعالى بعزاء آخر،وهو أن جهادهم فيه إنما هو لانفسهم ، وثمرته عائدة عليهم ،وأنه غنى عن العالمين ، ومصلحة هذا الجهاد ، ترجع إليهم ، لا إليه ـ سبحانه ـ ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم فى زمرة الصالحين.

ثم أخبر عن حال الداخل فى الإيمان بلا بصيرة ، وأنه إذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس له كعذاب الله ،وهى أذاهم له ، ونيلهم إياه بالمكروه والألم الذى لا بد أن يناله الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ،جعل ذلك فى فراره منهم، وتركه السبب الذى ناله ، كعذاب الله الذى فر منه المؤمنون بالإيمان،فالمؤمنون لكمال بصيرتهم،فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان ، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا لضعف بصيرته فر من ألم عذاب أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ،ففر من ألم عذابهم إلى عذاب الله،فجعل ألم فتنة الناس فى الفرار منه ،بمنزلة ألم عذاب الله، وغبن كل الغبن إذ استجار

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٤) ، وابن حبان (٩٠٥/ موارد).

من الرمضاء بالنار ،وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد ،وإذا نصر الله جنده وأولياءه ، قال: إنى كنت معكم،والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق.

والمقصود: أن الله ـ سبحانه ـ اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها ، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ،ومن يصلح لموالاته وكراماته ،ومن لايصلح ، وليمحص النفوس التى تصلح له ويخلصها بكير الامتحان ،كالذهب الذى لا يخلص ولا يصفو من غشه ،إلا بالامتحان ،إذ النفس فى الأصل جاهلة ظالمة ،وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية ، فإن خرج فى هذه الدار ،وإلا ففى كير جهنم ، فإذا هُذِّب العبد ونقى ،أذن فى دخول الجنة [١] .

فصل
من فقه الداعية

ومنها [٢]: حسن سياسة الوفد وتلطفهم حتى تمكنوا من إبلاغ ثقيف ما قدموا به، فتصوروا لهم بصورة المنكر لما يكرهونه الموافق لهم فيما يهوونه حتى ركنوا إليهم واطمأنوا، فلما علموا أنه ليس لهم بد من الدخول فى دعوة الإسلام أذعنوا ، فأعلمهم الوفد أنهم بذلك قد جاؤوهم ولو فاجؤوهم به من أول وهلة لما أقروا به ولا أذعنوا وهذا من أحسن الدعوة وتمام التبليغ ولا يتأتى إلا مع ألباء الناس وعقلائهم [٣].

فصل
فى بعث الإمام الدعاة

ومنها [٤]: بعث الإمام الرجل العالم إلى أهل الهدنة فى مصلحة الإسلام ،وأنه ينبغى أن يكون أمينا وهو الذى لاغرض له ولا هوى ، وإنما مراده مجرد مرضاة الله ورسوله لا يشوبها بغيرها ، فهذا هو الأمين حق الأمين، كحال أبى عبيدة بن الجراح [٥].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٢ ـ ١٨).

(٢) أى : من الحكم المستفادة من قدوم وفد ثقيف على رسول اللهﷺ.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٠١).

(٤) أى بين الحكم المستفادة من قدوم وفد نجران على رسول الله ﷺ.

(٥) زاد المعاد (٣/ ٦٤٤).